:الدكتور ماثيو س .هارمون، رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي
،ابتهجوا بإنجيل يسوع المسيح
الجلسة الخامسة :عيشوا كمواطنين في ملكوت الله
(فيلبي ١ :٢٧-٣٠)

بقلم تيد هيلدبراندت BiblicaleLearning.org

هذا الدكتور ماثيو س .هارمون يُقدّم شرحه لرسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي .ابتهجوا بإنجيل يسوع المسيح .هذه هي الجلسة الخامسة، بعنوان :عيشوا كمواطنين في ملكوت الله، فيلبي ١ :٢٧-٣٠.

أهلاً بكم في الجلسة الخامسة من دراستنا لرسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي .عنوان هذه الجلسة هو "عيشوا كمواطنين في ملكوت الله"، وسنركز على الآيات من 27 إلى 30 من الإصحاح الأول من الرسالة .وسنقرأ هذا النص بعد قليل.

وكما اعتدنا، سنستعرض بإيجاز ما تناولناه في جلستنا السابقة، وهي تقدم الإنجيل، حيث تطرقنا إلى رسالة بولس إلى أهل فيلبي، الإصحاح الأول، من الآية 18 إلى 26، حيث تحدث بولس عن خططه ورغباته المستقبلية، وكيف كان الإنجيل يُؤثر في خياراته بشأن الاستمرار في هذه الحياة في خدمة مثمرة أو الموت والالتحاق بالمسيح .وكان هدفه الأسمى هو أن يرى المسيح مُمجَّدًا في الإنجيل الذي يتقدم من خلال ظروف حياته .وبهذا نختتم مقدمة رسالة بولس إلى أهل فيلبي.

والآن، ونحن ننتقل إلى رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، الإصحاح ١٢٧ وما يليه، ندخل في صلب الرسالة .لذا، قبل أن نتعمق في المقطع المحدد لهذه الجلسة، أود أن أطرح بعض الملاحظات حول صلب الرسالة ككل .في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، يبدأ صلب الرسالة في الإصحاح ١ :٢٧.

وأرى أن هذا الأمر يمتد حتى الفصل الرابع، الآية الثالثة .لذا، في هذا المخطط الذي ترونه هنا، أبرزتُ عدة أفكار متوازية تظهر في بداية الفصل الأول، الآية ٢٧، وحتى الفصل الثاني، الآية الرابعة، ثم الفصل الثالث، الآية ١٧، وحتى الفصل الرابع، الآية الثالثة، مما يُسهم في توحيد هذا المقطع كوحدة أدبية متماسكة .وهكذا نرى في كليهما إشارة إلى المواطنة.

وسنتحدث عن المزيد من ذلك في جلستنا الآن، عندما يتعلق الأمر برسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي من الإصحاح ١٢٧ إلى الإصحاح ٣٠ .لكننا نرى ذلك مذكورًا في الإصحاح الأول، الآية ٢٧ .ونراه مرة أخرى في الإصحاح الثالث، الآية ٢٠.

نرى بولس يتحدث عن الثبات في الآية ١٢٧، وفي الإصحاح الرابع، الآية الأولى .وفي الإصحاح الأول، الآية ٢٨، يتحدث عن عدم الخوف من الخصوم.

ثم في الإصحاح الثالث، الآية ١٨، يتحدث عن أعداء صليب المسيح .وفي الآية ١٢٧، يتحدث عن الجهاد جنبًا إلى جنب من أجل الإيمان بالإنجيل .ثم يستخدم لغة مماثلة في الإصحاح الرابع، الآية ٣، ليتحدث عن امرأتين من الجماعة عملتا جنبًا إلى جنب مع بولس في نشر الإنجيل.

،يتحدث في الإصحاح ١٢٨ عن هلاك معارضي الإنجيل .ثم يعود إلى الفكرة نفسها في الإصحاح الثالث، الآية ١٩ متحدثًا عن هلاك أعداء صليب المسيح .ثم في الإصحاح الأول، الآية ٢٨، يتحدث بولس عن خلاصهم.

،ثم في الإصحاح الثالث، الآية ٢١، يتحدث عن انتظارنا للمخلص، الرب يسوع المسيح .وفي الإصحاح الثاني، الآية الأولى "يتحدث عن التشجيع في المسيح .ثم في الإصحاح الرابع، الآية الثانية، يقول " :أناشدكم ، وأناشد سينتيخي .

يصعب ملاحظة ذلك في ترجمتنا الإنجليزية، لكنها تنتمي إلى نفس عائلة الكلمات اليونانية التي تعني التشجيع أو التوسل أو الحث .وأخيرًا، في الإصحاح الثاني، الآية الثانية، يتحدث بولس عن إتمام فرحه .ثم في رسالة بولس إلى أهل فيلبي 4 :يشير إلى أهل فيلبي على أنهم فرحه وإكليله ،2-1.

لذا، تساعدنا هذه المقارنات على فهم أن هذا العمل يجب أن يُفهم كوحدة أدبية متماسكة .يُشار إلى ذلك أحيانًا بمصطلحات مثل "التضمين "أو "الأقواس "أو "الظرف"، بغض النظر عن التسمية .هذه طريقة تساعدك على فهم ما ينوي الكاتب تقديمه كجزء متماسك من الرسالة.

يبدأ متن الرسالة في الإصحاح الأول، الآية ٢٧، ويمتد حتى الإصحاح الرابع، الآية ٣ .إضافةً إلى هذه المتوازيات، هذه العبارات المتطابقة، أظن - وسأقول هذا بحذرٍ نوعًا ما، ولن أجزم في هذا - أنكم تستطيعون ملاحظة بنيةٍ متقابلةٍ في متن هذه الرسالة .والتقابل هو نوعٌ من البنية التي تتضمن متوازياتٍ متطابقة.

وهذه أفكار .A' وحرف B' في المنتصف، ثم حرف C ثم حرف B، ثم حرف A، كما ترون على الشاشة، يوجد حرف متوازية ستظهر .وسواءً اعتقدتم أن هذا موجود فعلاً أم لا، أعتقد أنها طريقة مفيدة للتفكير في بنية هذا النص.

في الفصل الأول، من الآية ٢٧ إلى ٣٠، سنرى بولس يدعونا لنعيش كمواطنين صالحين في ملكوت الله، جديرين ،بالإنجيل .ثم ينتقل للحديث عن فرحٍ ينبع من حياةٍ مشتركةٍ يُثمرها الإنجيل .وفي قلب هذا كله، ما سأشير إليه بالمسيح .فهو المثال الأسمى والتجسيد الأمثل لهذه الحقيقة.

لذا فهو يجسد هذا المعنى خير تجسيد .وأرى أن هذا هو جوهر الرسالة .ثم انتقل للحديث عن دعوة الناس للعمل على .خلاصهم، وهو ما أراه مرتبطًا بفكرة الفرح المتجذر في حياة مشتركة نابعة من الإنجيل

ثم يأتي القسم الأخير، وهو الأطول، ليقدم أمثلةً على حياةٍ تحكمها عقلية المسيح ، أو حياةٍ تُوازي فكرة العيش كمواطنٍ في ملكوت الله .في هذا القسم، سيتحدث عن تيموثاوس، وعن أبفروديتس، وسيتحدث عن حياته الشخصية كأمثلةٍ على كيفية تطبيق عقلية المسيح في الحياة .أهم ما أريدكم أن تستوعبوه من هذا، حتى وإن لم تجدوا بعض أوجه التشابه مقنعةً تمامًا، هو أن ما يُسمى بترنيمة المسيح في الإصحاح الثاني، من الآية الخامسة إلى الحادية عشرة، هو، في .رأيي ، محور رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، أدبيًا ولاهوتيًا

هناك تشبيه آخر أحب استخدامه، وهو عندما ترمي حجراً في إناء، فإن نقطة الدخول تُحدث أكبر قدر من التناثر حيث يدخل الحجر الإناء .لكن هناك تأثيرات متموجة تنتشر في المنطقة المحيطة بمكان إلقاء الحجر .وأود أن أقترح عليكم أن ترنيمة المسيح تُشبه الحجر الذي يُلقى في منتصف الحرف، فتُحدث تأثيرات متموجة تُشعر بها في باقي أجزاء الحرف .على الأقل، وربما في جميع أجزائه

إذن، هذه مقدمة موجزة لمضمون الرسالة ككل .والآن، أريد أن ننتقل إلى القسم الأول، وهو العيش كمواطنين في ملكوت .الله، في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، الإصحاح الأول، من الآية ٢٧ إلى ٣٠ .لذا أدعوكم لمتابعة قراءتي للنص

ليكن سلوككم لائقًا بإنجيل المسيح، حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائبًا، أسمع عنكم أنكم ثابتون في روح واحدة، بقلب واحد، تجاهدون جنبًا إلى جنب من أجل إيمان الإنجيل، ولا يخشون شيئًا من خصومكم .هذه علامة، علامة واضحة لهم على هلاكهم، ولكم على خلاصكم من الله .فقد أُعطي لكم، من أجل المسيح، ألا تؤمنوا به فحسب، بل أن تتألموا .أيضًا من أجله، منخرطين في نفس الصراع الذي رأيتموني أخوضه، والذي تسمعون الآن أنني ما زلت أخوضه

فلنلقِ نظرة .سنبدأ بالنظر إلى الأمر الذي يُمهّد الطريق هنا .وستلاحظون أنني لخصت هذا الأمر بأنه العيش كمواطن في .ملكوت الله

وقد تتساءلون فورًا :من أين أتت هذه المواطنة؟ أو ما هي هذه المواطنة؟ ومن أين أتت لغة الملكوت هذه؟ لأنّ ترجمة على الأقل، تُفسّر السطر الافتتاحي" :فليكن سلوككم لائقًا بإنجيل المسيح ."لذا، عليّ أن أوضح مصدر لغة ،ESV المواطنة هذه .أولًا، هذه هي أول وصية أو أمر في الرسالة بأكملها.

كل ما سبق كان مجرد وصف لما يحدث .والآن، ولأول مرة، يخبر بولس أهل فيلبي تحديدًا بما يجب عليهم فعله .ثم رجلًا على "أو "فقط :"يبدأ حديثه بهذه الكلمة".

ويقول النص، إن كان ما يقصده بولس هو أنه إذا فهمت هذا الأمر جيدًا، فسيتيسر لك كل شيء آخر .إذا فهمت فكرة العيش كمواطن في ملكوت الله فهمًا صحيحًا، فكل ما سأتحدث عنه لاحقًا هو نتيجة لذلك؛ إنه تعبير عنه.

إذن، من أين أتت لغة المواطنة هذه؟ حسناً، إنها مشتقة من الفعل اليوناني المحدد الذي استخدمه بولس هنا .فهو يستخدم هذا الفعل، الذي يحمل معنىً خاصاً بالعيش كمواطن .لذا، غالباً ما يستخدم بولس لغةً تتحدث عن السير أو العيش بطريقة معينة، ويستخدم أفعالاً مختلفةً للتعبير عن ذلك.

،يستخدم أفعالًا مختلفة عندما يكون لديه إحساس عام بالعيش بهذه الطريقة، أو السير بهذه الطريقة .أما هنا فيستخدم فعلًا محددًا جدًا .وحتى لو استمعت إليه، أليس كذلك؟ سياسيًا، يمكنك أن تسمع الكلمة الإنجليزية التي ستُستخدم لاحقًا مشتقة من عائلة كلمات السياسة، أليس كذلك؟ إنها متجذرة في فكرة المدينة أو المنظمة أو المملكة.

لذا، يقول بولس هنا تحديدًا :عيشوا كمواطنين بطريقة تليق بالإنجيل .وهذا يثير تساؤلًا حول معنى المواطنة :مواطنة ماذا؟ مواطنة أين؟ وقد يتبادر إلى ذهن البعض، أو قد يتبادر إلى أذهانهم، أنه يتحدث عن العيش كمواطن فيلبي .عيشوا كمواطنين فيلبي بطريقة تليق بالإنجيل.

يكمن التحدي في ذلك في أن المواطنة كانت مرتبطة بمجموعة محددة من المفاهيم في العالم الروماني .فقد كان الحصول على الجنسية الرومانية يمنح مزايا وامتيازات معينة.

،لكن نسبة ضئيلة فقط من سكان فيلبي كانوا مواطنين .ومعظم رواد كنيسة فيلبي لم يكونوا على الأرجح مواطنين .لذا يبدو من غير المرجح أن بولس يدعو إلى العيش كمواطن فيلبي.

.بل أعتقد أنه يتحدث عن العيش كمواطن في ملكوت الله .وأظن أن مزيداً من الأدلة على ذلك يظهر لاحقاً في الرسالة سأتحدث عن ذلك بعد قليل.

.أعتقد أن ما يقصده بولس هنا هو أن يعيش المرء كمواطن، وضمنًا، كمواطن في ملكوت الله، بطريقة تليق بالإنجيل ولذا، كان هذا الكلام لافتًا للنظر بشكل خاص لدى أهل فيلبي، لأنها مدينة تُقدّر المواطنة الرومانية وما يصاحبها من مزايا وامتيازات .وإذا تذكرتم، في الجلسة الأولى، عندما عرّفنا بأهل فيلبي وقصة نشأة الكنيسة فيها، فربما تتذكرون أنه ،عندما كان بولس وسيلا في السجن، وفي اليوم التالي عندما جاء المسؤولون الرومان وكانوا على وشك إطلاق سراحهما .قال بولس وسيلا :لحظة، لقد أسأتم معاملتنا، ونحن مواطنون رومانيون

وقد تسبب ذلك في شعورٍ كبيرٍ بالخوف والذعر لدى هؤلاء القضاة، إذ لم يكن مسموحًا بضرب المواطنين الرومان كما حدث لبولس وسيلا قبل اتهامهما .وفجأةً ، أدرك القضاة الرومان أنهم ارتكبوا خطأً فادحًا، وأنهم قد يُساءلون قانونيًا بتهمة إساءة معاملة هؤلاء المواطنين .ولكن هذا يثير تساؤلًا.

،كما ترى، لم يكشف بولس عن جنسيته الرومانية إلا بعد فوات الأوان .قد تتساءل الآن :هذا غريب، لأننا لو كنا مكانهم .لربما قلنا :مهلاً، مهلاً، مهلاً .قبل أن يتفاقم الوضع، أنا مواطن روماني

لا يمكنك فعل هذا بي .وهذا يثير التساؤل :لماذا لم يفعل بولس ذلك؟ لماذا لم يستخدم حجته القوية المتمثلة في كونه مواطنًا رومانيًا قبل تعرضنا للضرب وسوء المعاملة؟ ورغم أن النص لا يذكر ذلك صراحةً، أعتقد أن الاستنتاج المنطقي هو أنه أراد أن يكون قدوةً في الاستعداد للمعاناة من أجل المسيح والإنجيل .وأراد أن يكون قادرًا على تقديم هذا المثال .للناس الذين لا يملكون نفس الحجة القوية التي يملكها بولس

قد يكون من السهل على أحدهم أن يقول" :بالتأكيد يا بول، من السهل عليك قول ذلك .يمكنك الإفلات من الضرب إن ".أردت بإظهار جنسيتك الرومانية وإثبات أنك لا تُضرب بسببها .لا أستطيع فعل ذلك لأني لست مواطنًا رومانيًا

لذا من السهل عليك الادعاء بذلك .ولكن كيف يفيدني هذا؟ أعتقد أن بولس يضرب مثالاً على الاستعداد للمعاناة في سبيل المسيح والإنجيل، حتى وإن كان بإمكانه تجنب ذلك قانونياً .على أي حال، بالعودة إلى رسالة بولس إلى أهل فيلبي، أعتقد أنه عندما نفهم مدى تقدير المواطنة الرومانية ومزاياها، فإن بولس، من وجهة نظر معينة، يستخدم ذلك .كتشبيه ليقول إنه مهما كانت المواطنة الرومانية عظيمة ومزاياها، فإن لديك مواطنة أعظم بكثير في ملكوت الله

لذا فهو يذكّرهم بذلك .وفي النهاية، أعتقد أن الدليل القاطع في رأيي على أنه كان يضع هذا في اعتباره هو أنه عندما نصل إلى الإصحاح الثالث، الآية 20، ويقول" :مواطنتنا في السماء"، فإنه يستخدم الاسم اليوناني ذي الصلة " politeuma" . لذا أعتقد أن هذا استخدام مقصود للغاية، يحمل بوضوح معنى المواطنة في السماء.

ويمكننا استخدام ذلك لتفسير ما قصده بولس في الإصحاح الأول، الآية ٢٧ .إذ يدعوهم بولس إلى العيش كمواطنين في ملكوت الله .وأعتقد أن هذا الأمر لا يزال ذا صلة بنا اليوم كما كان لأهل فيلبي في القرن الأول.

إن ولاءنا الأساسي للمسيح وملكوته .إنه موطننا الحقيقي، ومواطنتنا الحقيقية .ونتيجة لذلك، ينبغي أن يُشكّل هذا نظرتنا إلى أي ولاء أرضي آخر لدولة معينة قد ننتمي إليها.

إذن، الوصية هي :عيشوا كمواطنين في ملكوت الله .لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد .يقول ذلك بأسلوب يليق بالإنجيل.

لذا علينا أن نسأل أنفسنا :ما معنى أن نعيش حياةً تليق بالإنجيل؟ يمكننا هنا أن نتخيل الإنجيل كدستور ملكوت الله، فهو الوثيقة الحاكمة التي تحدد مسار حياتنا كشعب الله .وإذا تذكرنا نصوصًا أخرى، فهي تُساعدنا على فهم هذا المعنى، أي السلوك الذي يليق بالإنجيل.

نرى هذا في نصوص مثل أفسس 4 :1 وكولوسي 1 :10 و1 تسالونيكي 2 :12 .ولكن عندما نفكر في معنى مصطلح الإنجيل، أعتقد أننا بحاجة إلى توضيح .فمن جهة، نعني رسالة تُعلن ما فعله الله لأجلنا في المسيح .إنها بشرى سارة.

إنها إعلانٌ لما فعله الله لأجلنا .وفي الوقت نفسه، هي بمثابة معيارٍ نقيس به حياتنا، بحيث يكون أسلوب حياتنا متوافقًا مع حقيقة الإنجيل.

وهكذا نرى لغةً مشابهةً في مواضع أخرى، لكنها تبرز بشكلٍ خاص في الإصحاح الثاني، الآيات من 5 إلى 11، في ما يُسمى بترنيمة المسيح، حيث يُفترض أن يعيش الذين يدعون المسيح ملكهم حياةً تُجسّد صفاته .فمن المنطقي، إن كنا ندّعي اتباع المسيح، أن نعيش حياةً تُعبّر عن جوهره .لذا، يعيش المؤمنون كمواطنين في ملكوت الله، بينما يعيشون جسديًا في هذا العالم الساقط الذي يحكمه قادة بشريون ساقطون.

هذا جزء من التوتر الذي نعيشه :نعم، نحن مواطنون في ملكوت الله، ومع ذلك نعيش في عالم يحكمه قادة بشريون ساقطون .وهذا يخلق هذا التوتر الذي ينبغي أن نختبره كمؤمنين، حيث تتعارض قيم الدولة والأمة وأولوياتها، أحيانًا على الأقل، مع هويتنا كمواطنين في ملكوت الله .وفي النهاية، لا ينبغي أن تعتمد طاعتنا للمسيح على وجود الآخرين.

كما ترى، أشار بولس إلى ذلك عرضًا، أليس كذلك؟ في الإصحاح الأول، الآية ٢٧، قال » :حتى إذا جئت ورأيتكم، أو كنت غائبًا، أسمع عنكم أنكم ثابتون في روح واحدة .«جميعنا ندرك الميل الطبيعي إلى طاعة السلطة عند وجودها أكثر من طاعتها عند غيابها .ولعل أوضح مثال على ذلك هو القيادة على الطريق السريع.

وأنت تقود سيارتك على الطريق السريع، والسرعة المحددة هي 60 ميلاً في الساعة، وتفكر :لا أرى أي سبب يمنعني من القيادة بسرعة 70 أو ربما 75 ميلاً في الساعة.

يبدو المكان مفتوحاً على مصراعيه هنا .لا يوجد خطر .ما المشكلة في هذا؟ ثم فجأة ننعطف من تلك الزاوية، ونرى ضابط الشرطة.

وهو جالس في الجزيرة الوسطى .وماذا نفعل دائماً؟ نضغط على الفرامل فوراً .لأننا نعلم، يا إلهي، لقد تجاوزت السرعة المحددة هناك.

وإذا شاء ذلك الشرطي، وفي الوقت المناسب، فبإمكانه إيقافي وتحرير مخالفة لي لعدم التزامي بالقانون .لأنني ظننتُ أنه لا توجد سلطة هنا قريبة مني لتطبيق القانون، وبالتالي يُمكنني الإفلات من العقاب إذا تجاوزتُ السرعة المحددة قليلاً.

قد يبدو هذا تشبيهًا أو تفسيرًا ساذجًا للوهلة الأولى، لكن في الواقع، نرى هذا الأمر مع الأطفال أيضًا، أليس كذلك؟ أحيانًا، عندما يلعب الأطفال في غرفة اللعب، لا يعلمون أن أمهم أو أبهم أو جدتهم أو جدهم يرونهم ، فيظنون أنهم بمفردهم.

قد يفعلون أو يقولون أشياءً يعلمون أن أمهم أو أباهم أو جدتهم أو جدهم لن يوافقوا عليها .لكنهم يعتقدون أن بإمكانهم الإفلات من العقاب لأنهم يظنون أنهم بعيدون عن الأنظار .إنها مجرد طبيعة بشرية.

ويقول بولس :أريد أن أسمع أنكم ثابتون، حتى وإن لم أكن معكم .فماذا يعني الثبات إذن؟ يقول بولس إنه يريد أن يسمع أنهم ثابتون في الروح .فماذا تعني هذه الفكرة الأساسية، الثبات؟ حسنًا، في أبسط معانيها، أعتقد أنها تعني التمسك بالموقف في وجه المعارضة.

،لذا، إذا كنت من عشاق الرياضة وتشاهد كرة القدم الأمريكية، ففكر في خط الهجوم، ستجد أن الهدف منه هو الثبات .أي الحفاظ على تماسك مواقعهم لتوفير الحماية لقائد الفريق الذي يقف خلفهم .إنها فكرة الصمود في وجه الخصم .بول يُعجب بهذا التعبير عن الثبات.

يستخدمها عدة مرات في مواضع أخرى .لكني أعتقد أن من الجدير بالذكر استخدامه عبارة "الثبات في "للدلالة على المجال الذي يقف فيه المرء .لكن هذا يثير تساؤلاً، لأنه إذا عدنا إلى النص، الفصل الأول، الآية 27، في نهايته، يقول .إنكم ثابتون في روح واحدة

مما يشير إلى أنها ،"spirit" صغيرًا في كلمة "s" وإذا نظرتَ إلى الترجمة الإنجليزية، ستجد أن معظمها يستخدم حرف تقصد الروح البشرية، أو موقفًا مشتركًا، أو نوعًا من القواسم المشتركة .وأود أن أقترح عليك أن ما يقصده بولس هنا هو الروح القدس، وليس مجرد روح بشرية أو شعور بقيمة مشتركة .بل أقترح أن بولس يقول في الواقع إن علينا أن نثبت في الروح القدس.

وهو يؤكد أن الروح القدس هو الذي يُمكّن من الثبات، وهو الذي يوحد المؤمنين للقيام بذلك معًا .حتى وإن كنتَ لا توافق، فأعتقد أن الفكرة واضحة تمامًا :فكرة الثبات الموحد في وجه المعارضة.

ثم ينتقل من ذلك إلى القول إنه من الثبات في روح واحدة، ينتقل إلى العمل بعقل واحد، مجاهدين جنبًا إلى جنب من أجل إيمان الإنجيل .فماذا يقصد بولس بهذا التعبير؟ حسنًا، أعتقد أن الصورة هي جهد متضافر أو مركز معًا.

إنها تعمل معًا من أجل الإيمان بالإنجيل .اللافت هنا هو أن هذا هو الموضع الوحيد، باستثناء ما ورد لاحقًا في رسالة بولس إلى أهل فيلبي، الذي يستخدم لغة السعي المشترك .ولذلك، يستخدمها بولس هنا في رسالة فيلبي 1، ويستخدمها مرة أخرى في فيلبي 4:3 .لذا أعتقد أن الفكرة الأساسية التي تتبلور من هذا هي فكرة الجماعة المتماسكة.

وكم هو بالغ الأهمية للحياة المسيحية .من سمات الفكر الغربي الحديث وثقافة الحياة فيه هو الفرد القوي .أستطيع فعل ذلك بمفردي.

وهناك بعض التفسيرات للمسيحية التي تُقدّم نفسها وكأنها تقول" :أنا فقط، وكتابي المقدس، والمسيح، وهذا كل ما أحتاجه ."وأعتقد أن هذا يُغفل جانباً بالغ الأهمية ، ألا وهو الكنيسة.

عندما يخلصنا الله، فإنه لا يخلصنا كأفراد فحسب، بل يخلصنا كأفراد ويضعنا في جسد واحد لنتحد، ليس فقط مع المسيح، بل مع المؤمنين الآخرين.

لذا، لا يمكنك تجسيد فكرة السعي معًا من أجل الإيمان بالإنجيل إلا إذا كنت مع مؤمنين آخرين .وقد تتخذ طبيعة هذه الجماعة أشكالًا وأنماطًا مختلفة تبعًا لظروفك .لكننا نحتاج بعضنا بعضًا لنتقدم وننمو في الحياة المسيحية.

لن أنسى أبدًا عندما كنتُ طالبًا في المعهد اللاهوتي، كنتُ في الكنيسة، وكان راعينا يُلقي سلسلة عظات عن رسالة العبرانيين .وقد عنون تلك السلسلة بأكملها، وهو ما أعجبني كثيرًا؛ فقد سماها "ساعدني للوصول إلى السماء ."وكان قصده أن رسالة العبرانيين تُركز على ضرورة الاستمرار في التمسك بالثقة بيسوع.

.وهذا ليس مجرد مشروع فردي، بل هو مشروع مؤسسي .نحن بحاجة لبعضنا البعض

أحتاج إلى مؤمنين آخرين في حياتي ليذكروني بمن هو الله، وما فعله المسيح من أجلي، وحقائق الإنجيل .أحتاج إلى ذلك .في حياتي .وكل مؤمن يحتاج إلى ذلك في حياته

ثم ينتقل للحديث عن إعلان الإنجيل، وغرس الإيمان في قلوبنا .أعتقد أن هذا ما يقصده بولس عندما يتحدث عن .السعي معًا من أجل إيمان الإنجيل .ويمكن تفسير عبارة "إيمان الإنجيل "هذه بطرق مختلفة

لكنني أعتقد أنه من المنطقي فهم ذلك في ضوء ما قاله بولس في رسالته إلى أهل رومية ١٠، حين تحدث عن أن الإيمان .ينبع من السماع، والسماع من كلمة المسيح .فعندما تُنطق كلمة الله وتُقرأ وتُتأمل وتُدرس، يستخدمها الله ليُنمّي الإيمان .ونتيجةً لذلك، يُعلن الإنجيل في حياتنا

علينا أن نُذكّر أنفسنا بحقائق الإنجيل ، وهذا يُنمّي الإيمان في حياتنا .لذا، يُمهّد هذا الطريق لانتقاله في الآية ٢٨ إلى .مفترق طرق .فهو يتحدث عن نوعين من السبل، إن صح التعبير

أحدهما الخوف والمعارضة، والآخر اللامبالاة .لذا يتحدث في الآية ٢٨ عن عدم الخوف من أي شيء يصدر عن .خصومك .لذلك لا نعرف من هم هؤلاء الخصوم

لم يُحدد بولس المقصود بدقة .أظن أنه ربما يقصد الوثنيين، أولئك الذين عبدوا آلهةً زائفة، يمارسون ضغوطًا، ربما .ضغوطًا اجتماعية، أو اقتصادية، أو حتى سياسية .مع ذلك، يصعب تحديد ما يقصده بولس تحديدًا

بالطبع، تذكروا ما ورد في سفر أعمال الرسل 16، عندما مُثِّل بولس وسيلا أمام السلطات الرومانية، حيث ادعى المتهمون أن هؤلاء اليهود يروجون لأفكار تتعارض مع معتقداتنا وممارساتنا نحن الرومان .ولعل هذا التوتر استمر في التصاعد في مدينة فيلبي .على أي حال، من الجدير بالذكر أن المصطلح الذي استخدمه بولس لوصف الخوف هو .مصطلح يُستخدم أيضاً في سياق الحديث عن فزع الخيول في المعارك

لذا، إذا تخيلتَ في ذهنك خيولًا تتقاتل في معركة، ثم فجأةً يحدث ضجيجٌ عالٍ أو شيءٌ ما يُفزعها، فإنها تتصرف بشكلٍ غير متوقع وقد تكون خطيرة للغاية .ولذلك يقول بولس :لا تكن كذلك عندما تواجه معارضةً للإنجيل .ومن المثير للاهتمام أنه يقول إنه عندما لا تشعر بالخوف، فإن هذا في الواقع يُظهر حقيقة ما يقوله الإنجيل :أن الذين يُعارضون .الله يواجهون الهلاك الأبدي

وهكذا، فإن ثباتنا في وجه المعارضة هو في الواقع تأكيد على حقيقة المسيح وصدق الإنجيل .وهذا يقودنا إلى هذا الجزء .الأخير في الآيتين ٢٩ و٣٠، حيث سيتحدث عن عطايا الله الكريمة

إذا نظرنا مجدداً إلى الإصحاح الأول، الآية ٢٩، نجد بولس يكتب » :لأنه قد وُهِبَ لكم، لأجل المسيح، ليس فقط أن تؤمنوا به، بل أيضاً أن تتألموا لأجله، وتخوضوا نفس الصراع الذي رأيتموني أخوضه، والذي تسمعون الآن أنني ما زلت أخوضه .«ما أريدكم أن تلاحظوه هنا هو أن المصطلح الذي ترجمته النسخة القياسية الإنجليزية (ESV) يحمل «مُنِحَ به» .معنى «مُنِحَ بِنَعْمَةٍ» .«إنها هبة من النعمة

.ليس هذا شيئًا يُكتسب أو يُستحق، بل هو هبة مُنحت لنا .ثم يُفصّل بولس هبتين مُنحتا لنا من أجل المسيح

.إذن، أول خطوة هي الإيمان .لقد مُنحنا نعمة الإيمان بالمسيح .ويتحدث سفر أفسس 2 أيضاً عن الإيمان كهبة من الله

.أفسس ٢ :٨ إلى ١٠ .لذلك يذكر بولس هذه الموهبة كأول عطية .ونقول في أنفسنا :رائع، أحب هذه الموهبة

.أنا أؤيد بشدة الحصول على تلك الهدية .يا رب، امنحني تلك الهدية .لكنه يذكر بعد ذلك الهدية الثانية

.وربما لسنا متحمسين كثيراً لهذا الأمر .يقول إن المعاناة هبة .المعاناة هبة

:وبصراحة، هذه هدية لا نرغب بها عادةً .تخيل أنك في صباح عيد الميلاد ، وتتلقى هدية تُثير حماسك، فتفتحها وتقول .نعم، هذا بالضبط ما كنت أتمناه

.ثم تفتح الهدية التالية، فتجد شيئاً ربما يكون سترة .شيء لا تريده حقاً .ليس لونه ما تحبه

.لا يبدو أنه يناسبك تمامًا كما تريد .فتقول لنفسك :حسنًا، أعتقد أن هذا جيد أيضًا .شكرًا لك

أليس كذلك؟ هذا رد فعلنا الطبيعي تجاه المعاناة :إنها هبة .لكنني أعتقد أن هناك جانبين على الأقل يجب أن نأخذهما .في الاعتبار .أولهما أن المعاناة تجبرنا على التركيز على ما يهم حقًا

إنها تجبرنا على التركيز على ما يهم حقًا .من السهل جدًا أن نتشتت بأمور لا تُعدّ ذات أهمية كبيرة في نهاية المطاف في .سياق الحياة الأبدية .ثم فجأة ، يحلّ الألم في حياتنا، فنبدأ بتضييق نطاقه ونقول :حسنًا، هذا ما يهم حقًا

هذه ظاهرة دُرست بالفعل لدى المرضى الذين شُخِّصوا بأمراض عضال .فعندما يتلقون تشخيصًا كهذا، يزداد لديهم فجأة الشعور بضرورة تقليص ما في حياتهم والتركيز على الأمور الأكثر أهمية .وقد أظهرت الدراسات أن أولئك الذين يتلقون هذا النوع من التشخيصات ثم يتعافون، يعودون في النهاية إلى طريقة تفكيرهم السابقة للتشخيص، لأن الأزمة .قد زالت

وفجأةً، تعود الحياة إلى طبيعتها .وفجأةً، يتلاشى ذلك التركيز الحادّ على ما تبقى من وقت، وضرورة تركيزه على الأمور .المهمة حقًا، إذ يميل الألم إلى توجيه انتباهنا نحو ما هو جوهري .ثانيًا، أعتقد أنه يكشف لنا ما نُقدّره حقًا

إنّ المعاناة تكشف لنا ما نُقدّره حقًا .ولذلك، أرى أن هذا هو السبب الذي يجعل بولس يقول إنّ المعاناة هي في الواقع .هبة .وأكرر، لا أقول هذا باستخفاف

لا أقول إن هذا يجعل الأمر سهلاً .ولا أقول إنه يجعل الأمر فجأةً، أوه، ليس بالأمر المهم الذي أمر به .لا، ما زال الأمر .صعباً

.لا يزال الأمر صعباً .لا تزال تشعر بألم تلك الظروف مهما كانت .بالتأكيد

لكنها نعمةٌ لأنها تُركّز انتباهنا على من وما يهمّ حقًا .ولذا، بالعودة إلى الصورة الكلية لما نراه في فيلبي ١ :٢٧-٣٠، إليكم كيف أُوجز ما يقوله لنا بولس .وما يقوله الله لنا من خلال هذا النص اليوم هو أن علينا أن نعيش مواطنتنا السماوية .وفقًا لنمط الإنجيل

باختصار، تُشكّل تلك الوصية الافتتاحية الفكرة المحورية لهذا المقطع تحديدًا :عيشوا كمواطنين في ملكوت الله .بطريقة تليق بالإنجيل .وفي هذا المقطع، أعتقد أنه يمكننا تلخيصها في سببين يدفعاننا إلى فعل ذلك

أولًا، إن معارضة الإنجيل تستلزم الثبات معًا في الروح .ومعارضة الإنجيل تستلزم الثبات معًا في الروح .ولذا، فإن الثبات .يعني العمل معًا من أجل إيمانٍ أعمق نابعٍ من الإنجيل

الثبات يعني عدم الخوف من فيض الإنجيل .والسبب الثاني الذي يدعونا إلى عيش مواطنتنا في ملكوت الله هو أن الله .قد أنعم على شعبه بالإيمان والمعاناة .فنحن نتحد مع المسيح بالإيمان، ونتحد معه بالمعاناة التي نتحملها من أجله

فلنفكر في بعض التطبيقات العملية لهذه الفقرة .هناك الكثير مما يمكننا مناقشته هنا .إليكم أربعة منها سأوجه انتباهكم .إليها

أولًا، فكّر أو افهم .علينا أن نفهم أن الإنجيل هو المعيار الأساسي لبناء الحياة المسيحية .الأمر لا يقتصر على كيفية اعتناقنا المسيحية فحسب، بل يتعداه إلى كيفية عيشنا كمسيحيين من خلال الاستمرار في الثقة برسالة الإنجيل وفهمها .وتطبيقها في حياتنا

ثانيًا، علينا أن نؤمن بأن المعاناة هبة من الله .أتحدث هنا عن الإيمان الراسخ، لا مجرد الإيمان العقلي بأن الكتاب المقدس يقول ذلك، لذا أؤمن به .هذه هي البداية، لكن يجب أن يتجذر هذا الإيمان في قلوبنا حتى إذا ما أدخل الله .المعاناة في حياتنا، نتقبلها كنعمة

ثالثًا، ينبغي أن نثق بقدرة الله على تمكيننا من الثبات في الروح .أحيانًا نواجه ظروفًا تُغرينا باليأس والخوف، وهنا نحتاج إلى جماعة المؤمنين من حولنا ليذكرونا بأن الله قادر على تمكيننا من الثبات معًا في الروح .

أحيانًا أعتقد أننا نُصعّب تجربة المعاناة لأننا نعزل أنفسنا بدلًا من الانخراط في المجتمع الذي وضعه الله حولنا .لذا، علينا أن نثق بقدرة الله على فعل ذلك من خلال عيون المؤمنين الآخرين .وأخيرًا، اسعَ إلى بناء علاقات هادفة مع المؤمنين الآخرين.

قد يختلف شكل هذا الأمر باختلاف ظروف حياتك وسياق كنيستك، لكننا نميل غالبًا إلى الانعزال، وعيش الحياة المسيحية بمفردنا بدلًا من السعي الحثيث للتواصل مع الآخرين .وهنا أؤكد :قد يكون التواصل مع الآخرين أمرًا معقدًا لنكن صريحين، فالانخراط في حياة الآخرين قد يكون مُرهقًا ومُستنزفًا وملينًا بالتحديات.

ومع ذلك، فهذا جزءٌ مما يعنيه أن نكون معًا في جسد المسيح :أن نحمل أثقال بعضنا بعضًا، وبذلك نُتمِّم شريعة المسيح، كما يُخبرنا غلاطية، الإصحاح السادس، الآية الثانية .وهذه نظرةٌ على القسم الافتتاحي من صلب رسالة فيلبي وسنتناول في جلستنا القادمة رسالة فيلبي، الإصحاح الثاني، الآيات من الأولى إلى الثانية.

هذا الدكتور ماثيو س .هارمون يُلقي محاضرةً عن رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي بعنوان "افرحوا بإنجيل يسوع المسيح ."هذه هي الجلسة الخامسة، بعنوان "عيشوا كمواطنين في ملكوت الله"، فيلبي ١ :٢٧-٣٠.